وأهم الكادرات الفكرية والمنظمة تشكلت في السجون. فالسجن مدرسة أسسناها وأسستنا، والمسيرة صرح بنيناه وبنانا.

إنها سيرورة متصاعدة صنعناها وصنعتنا. وفي أواسط السبعينات اكتفشنا مفردة ماركس (براكسيس) ودلالاتها، فغدت مرشدا، عززتها كلمات لينين في مؤتمر شعوب الشرق ١٩١٩م (إنكم تواجهون اوضاعا خاصة ....عليكم أن تتكيفوا مع ظروفكم وأن تشنوا نضالات ضد بقايا القرون الوسطى)[٣٧٨]، وقد استهوتنا هذه الكلمات، ليس لما فيها من نظرة ديالكتيكية تقرأ الملموس وتعدده ومستوى تطوره، بل تستحث ايضا على فهم الخصوصية واستحدات افكار بما يستجيب لمزاجي المتمرد الذي لا يقبل القوالب الجامدة. وحينما قرأت مقولة لينين (إن حزب الطليعة يسترشد بنظرية الطليعة) تساءل بعضنا هل ثمة فارق بينها وبين قرار الجبهة (بتبني الماركسية-اللينينية) وفي معمعات النضال تبين لنا الفارق بين تبنٍ واسترشاد.

لقد قرانا عشرات المؤلفات لماركس ولينين، استوعبنا روحها ونصوصها حينا ولم نستوعبها حينا آخر.

واذكر انني استمعت لأول مرة، لشروحات عن كتاب راس المال والفلسفة الديالكتيكية وعمري لم يتجاوز السابعة عشرة. اما جيفارا فقد حسم المسألة سيما أنه بهرتنا صورته الوسيمة، وقد غدا ملهما منذئذ، فهو قوة المثال، وقرأت مذكراته في السييرا مايسترا، وأهم ما استخلصناه أن التجربة الكوبية لم تقلد أحدا ولم تسر على أفكار منمطة جاهزة من الكتب. فكاسترو وجيفارا شقا طريقا جديدا في الممارسة والنظرية. مجموعة شبابية اقتحمت الأدغال وتحولت من بؤرة ثورية طريدة الى حركة يسارية ظافرة، ولم أكن بعد قد قرأت كتاب دوبريه» ثورة في الثورة» ولا تعبير التوسير «نظرية الممارسة» ولا معذبو الأرض». لفرانز فانون الذي أكد « أن عنف الاستعمار يولد العنف الثوري في الشعوب المستعمرة وأن العنف الثوري هو الطريقة الوحيدة للتحرر والتخلص من الخوف والكسل والدونية». وعبارة انجلز «إن العنف هو قابلة التاريخ».... ولكن الجبهة وفتح وسواهما قد ساروا في هذا النهج، وتعاظم العمل الفدائي في الوطن والجوار، وجاءت مذابح أيلول ١٩٧٠ م هزة كبيرة وضعت بديهياتنا على المحك وراحت تتكون الاجابة بتدرج على سؤال المذبحة: لماذا خسرنا الساحة الأهم، قاعدة الارتكاز الأولى، التي يربطها حدود تصل ٦٥٠ كم مع فلسطين، ويشكل الفلسطينيون فيها ثلثي الشعب وهي رئة تنفس للأهل في الضفة الفلسطينية بل يندر وجود

---

٣٧٨) لينين، المؤلفات الكاملة، دار التقدم ص ١٦١